وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية العلوم الإسلاميَّة
قسم علوم القرآن
الدراسات العليا

الإمام ابن حبَّان(ت٣٥٤هـ) ومنهجهُ في درء التعارض الظاهري في صحيحه- التقاسيم والأنواع- دراسة تطبيقية

رسالة مقدّمة
إلى مجلس كلية العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وَهِيَ جزء من متطلبات نيل
درجة الماجستير في الحديث النبوي في قسم علوم القرآن

من الطالبة
زينب علي شهاب
بإشراف
أ.د. أحمد نوري حسين

١٤٤٢هـ ٢٠٢١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]

صدق الله العظيم

[1] سورة البقرة /آية ١٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ**(الإمام ابن حبَّان(٣٥٤هـ) ومنهجهُ في درء التعارض الظاهري في صحيحه –التقاسيم والأنواع– دراسة تطبيقية)** الّتي قدّمتها الطالبة **(زينب علي شهاب)** قد جرى تحت إشرافي في كلية العلوم الإسلاميَّة/ جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الحديث النبوي قسم علوم القرآن.

التوقيع

اسم المشرف

ا.د. أحمد نوري حسين

٢٠٢١/٥ /٢٣

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع

ا.د. رعد طالب كريم

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

٢٠٢١\ ٥ \٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أني قرأت الرسالة الموسومة بـ**(الإمام ابن حبَّان(٣٥٤هـ) ومنهجهُ في درء التعارض الظاهري في صحيحه –التقاسيم والأنواع– دراسة تطبيقية)** الّتي قدّمتها الطالبة **(زينب علي شهاب)** قد جرى تحت إشرافي في كلية العلوم الإسلاميَّة/ جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الحديث النبوي قسم علوم القرآن، وقد وجدّتها صالحة من الناحية اللغوية.

التوقيع:
الخبير اللغوي: لؤي صيهود فواز
اللقب العلمي: أستاذ مساعد دكتور
التاريخ: / /٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير العلمي

أشهد أني قرأت الرسالة الموسوم(**الإمام ابن حبَّان(٣٥٤هـ) ومنهجهُ في درء التعارض الظاهري في صحيحه -التقاسيم والأنواع- دراسة تطبيقية)** الّتي قدّمتها الطالبة **(زينب علي شهاب)** قد جرى تحت إشرافي في كلية العلوم الإسلاميَّة/ جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الحديث النبوي قسم علوم القرآن، وقد وجدّتها صالحة من الناحية العِلمِيَّة.

التوقيع:
الخبير العلمي: أنور فارس عبد
اللقب العلمي: أستاذ دكتور
التاريخ: / /٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نشهد إننا أعضاء لجنة المناقشة، اطَّلعنا على الرسالة الموسومة بـ(**الإمام ابن حبَّان(٣٥٤هـ) ومنهجهُ في درء التعارض الظاهري في صحيحه –التقاسيم والأنواع– دراسة تطبيقية**) الّتي قدّمتها الطالبة (**زينب علي شهاب**) إلى كلية العلوم الإسلاميَّة/ جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في علوم القرآن وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونرى أنّها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في الحديث النبوي قسم علوم القرآن وبتقدير (جيد).

رئيس اللجنة
أ.د أحمد عبد الستار جاسم
التاريخ: ٢٧/ ٧ /٢٠٢١

عضو اللجنة
أ.د. خميس محروس علي
التاريخ: ٢٧/ ٧ /٢٠٢١

عضو اللجنة
أ.م.د. أحمد علي بريسم
التاريخ: ٢٧/ ٧ /٢٠٢١

المشرف
أ.د. أحمد نوري حسين
التاريخ: ٢٧/ ٧ /٢٠٢١

صدقت هذه الرسالة من قبل مجلس كلية ال – جامعة ديالى.

الأستاذ الدكتور
عمر نجم الدين الگيلاني
عميد كلية
٢٧ / ٧ /٢٠٢١

الإهداء

إلى...

من قاد قلوب البشرية وعقولهم إلى مرفأ الأمان، معلم البشرية الأول..... رسولنا محمد(ﷺ).

أحق الناس بالشكر، ولولاها ما وطئت قدماي في هذه الدنيا....ومهما أنبرت الأقلام، وتوافدت الكلمات في وصف فضلها، وعطفها، وبيان حقها فلن أوفي دينها.....تلك هي أمي الغالية(حفظها الله تعالى).

رجل يساوي كل العالم...رجل يستحق أن يقال عنه رجل...كان ولا زال السند والدعم يتعب لأتعلم..... أبي المُوقر(حفظه الله تعالى).

من شدَّ الله بهم أزري ومن شاطروني أفراحي وأحزاني.....أخواتي وأخواني.... وأخص منهم من فارقني بجسده ولكن روحه كانت بجواري ترفرف بجوانب حياتي بأفراحي وأحزاني..... أخي يوسف رحمه الله تعالى.

ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي....جميع أساتذتي الكرام.

الذين ظفرتُ بهم هدية الأقدار... أصدقائي وزملائي جميعاً.

كل يد وقلب سار معي درب الإنجاز لأكون .

أهدي لهم جميعاً ثمرة جهدي المتواضع هذا....راجية من الله أن تكون نافذة علم وبطاقة معرفة.... وأن ينفعنا وينفع بنا.

زينب

قال رسول الله ﷺ: "لا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لا يشكر الناس"[٢].

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم الشكر الجزيل، والعرفان الوفير، إلى الأستاذ المشرف **(أ.د أحمد نوري حسين)** وفَّقَهُ الله ونفع بهِ طلبة العلم، لما أسدى إلي من توجيهات علميَّة قيِّمة، وآراء سديدة، والَّتي بها خرجت هذه الرسالة بحلَّتها الَّتي هي عليها الآن، وقد تميز بحرصه الشديد على العلم، والَّذي انتفعت بأخلاقه مع ما نفعني بعلمه، فجزاه الله عني خيرا، لما قدم من جهد كبير.

كما أتقدَّم بفائق الشكر والعرفان إلى جميع أساتذتي الإجلاء، وأخص منهم السيد عميد كلية العلوم الإسلامية **(ا.د عمر عبدالله نجم الدين الكيلاني)**، و**(ا.د أبراهيم طه حمودي التميمي)**، و**(ا.د حسام غضبان الربيعي)** الذين لهم اليد الطولى بعد الله في كل ما وصلت إليه ، فهم الذين ربّوني التربية العلميَّة، وعلَّموني أدب الأخلاق، واحترام العلم وأهله، والشكر موصول لإخواني الذين شدُّوا من أزري، وأعانوني في هذا المشوار.

ولا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة لما سيبدون من آراء قيِّمة خدمة الرسالة والباحث، وإلى كل من أعانني على إنجاز هذه الرسالة.

وفَّق الله الجميع لخدمة هذا الدين وأهلهِ.

الباحثة

المحتويات

---

[٢]مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت ٢٤١هـ، تحقيق– شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، رقم الحديث(٧٩٣٩) :٣٢٢/١٣، ووأخرجه ابي داود في سننه، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق– محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، رقم الحديث(٤٨١١):٤/٢٥٥.

.

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
إقرار المشرف	ب
إقرار الخبير اللغوي	ج
إقرار الخبير العلمي	د
إقرار لجنة المناقشة	هـ
الإهداء	و
شكر وثناء	ز
المحتويات	ح – ك
المقدمة	١ – ٦
الفصل الأول: حياة الإمام ابن حبَّان والتعريف بكتابه الصحيح	٧ – ٥٩
التمهيد	١٠
المبحث الأول: عصر الإمام ابن حبَّان	١١ – ١٩
المطلب الأول: الحالة السياسيَّة.	١١ – ١٣
المطلب الثاني: الحالة الاجتماعيَّة	١٣ – ١٥
المطلب الثالث: الحالة العلميَّة	١٥ – ١٩
المبحث الثاني: حياته :	٢٠ – ٢٥
المطلب الأول: اسمه، كنيته، نسبه، لقبه	٢٠ – ٢٢
المطلب الثاني: ولادته، نشأته ووفاته.	٢٣ – ٢٥
المبحث الثالث: سيرته العلميَّة:	٢٦ –
المطلب الأول: طلبه للعلم ورحلته.	٢٧ – ٢٨
المطلب الثاني: أشهر شيوخه وتلامذته.	٢٩ – ٣٣

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه.	٣٤ – ٣٦
المطلب الرابع: آثاره العلميَّة.	٣٧ – ٤٣
المبحث الرابع: التعريف بكتابه الصحيح:	٤٤ – ٥٩
المطلب الأول: التحقيق في ثبت الكتاب الى ابن حبان.	٤٤ – ٤٥
المطلب الثاني: أسباب ومقاصد تأليف ابن حبان لكتاب التقاسيم والأنواع، وعدد أحاديثه.	٤٦ – ٤٧
المطلب الثالث: طريقة تصنيفه، شروطه.	٤٨ – ٥١
المطلب الرابع: منزلته بين كتب السنة النبوية.	٥٢ – ٥٤
المطلب الخامس: اهتمام العلماء بصحيح ابن حبان.	٥٥ – ٥٩
الفصل الثاني: بيان المفردات الواردة في عنوان الرسالة	٦٠ – ١٠٨
المبحث الأول: بيان معنى كل من درء التعارض والاختلاف والمشكل:	٦٢ – ٨٤
المطلب الأول: درء في اللغة والاصطلاح	٦٢ – ٦٥
المطلب الثاني: التعارض في اللغة والاصطلاح.	٦٦ – ٧٢
المطلب الثالث: الاختلاف في اللغة والاصطلاح.	٧٣ – ٧٦
المطلب الرابع: مشكل الحديث في اللغة والاصطلاح.	٧٧ – ٧٩
المطلب الخامس: الفرق بين مشكل الحديث ومختلف الحديث	٨٠ – ٨٤
المبحث الثاني: التعارض بين الأحاديث، حقيقته وأسبابه وشروطه:	٨٥ – ١٠٨
المطلب الأول:حقيقة التعارض بين الأحاديث عند العلماء المتقدمين.	٨٦ – ٨٨
المطلب الثاني:اسباب وشروط التعارض عند العلماء.	٨٨ – ٩٥
المطلب الثالث:حالات التعارض في الحديث وحكمه.	٩٥ – ١٠٠
المطلب الرابع:مسالك العلماء في دفع التعارض بين الأحاديث النبوية.	١٠٠ – ١٠٨

الفصل الثالث: منهج الأمام ابن حبَّان في درء التعارض بين الأحاديث	١٠٩ –
تمهيد	١١ – ١١٢
المبحث الأول: الأحاديث التي سلك فيها مسلك الجمع لدفع التعارض	١١٣ – ١٤٨
المطلب الأول: الجمع بين الأحاديث بحمل العام على الخاص	١١٤ – ١٢٢
المطلب الثاني: الجمع بين الأحاديث بحمل المجمل على المفسر، والمختصر على المقتضي	١٢٣ – ١٢٨
المطلب الثالث: الجمع بين الأحاديث بالحمل على الحالات	١٢٩ – ١٣٤
المطلب الرابع: الجمع بين الأحاديث برد النسخ	١٣٤ – ١٣٥
المطلب الخامس: خلاصة منهج الإمام ابن حبَّان في الجمع بين الأحاديث	١٣٦
المبحث الثاني: الأحاديث التي استعان فيها لدفع التعارض على علم الناسخ الحديث ومنسوخه	١٣٧ – ١٤٣
المطلب الأول: ما حكم عليه بالنسخ	١٣٨ – ١٤٠
المطلب الثاني: رد ادعاء النسخ	١٤١ – ١٤٢
المطلب الثالث: خلاصة منهج الأمام ابن حبَّان في النسخ بين الأحاديث	١٤٣
المبحث الثالث: الأحاديث التي سلك فيها الترجيح لدرء التعارض	١٤٤ –
المطلب الأول: ترجيح حديث فيه أمر ظاهر بالإضافة الى تأخر وروده على غيره	١٤٦ – ١٤٨
المطلب الثاني: ترجيح حديث محفوظ وثابت على ما لم يثبت	١٤٨ – ١٤٩
المطلب الثالث: ترجيح حديث على آخر بسبب تأخر إسلام الراوي	١٤٩ – ١٥٠
المطلب الرابع: رد الترجيحات المعكوسة، وإحكام جميع الأحاديث الواردة	١٥١ – ١٥٢
المطلب الخامس: خلاصة منهج الإمام ابن حبَّان في الترجيح بين الأحاديث	١٥٣
الخاتمة	١٥٤ – ١٥٦

المصادر والمراجع	١٥٧ – ١٧٨

المُقدّمة

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فمن نعمة الله على هذه الأمة أن أرسل فيها النبي العربي (ﷺ)، وأنزل عليه الكتاب الكريم الهادي إلى صراط الله المستقيم، وأكمل الله ﷻ لهذه الأمة دينها ولم يقبض نبيه إليه إلا بعد ما بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، وترك رجالاً فقهوا الكتاب والسنة وتمسكوا بهما، وكانوا جميعاً على عقيدة صحيحة واضحة ربطت بينهم، وجمعتهم على كلمة واحدة، وقد خلف هذا الجيل جيل التابعين الذين كانوا خير خلف لأعظم سلف ورثوا الكتاب والسنة، وساروا على هدى النبوة.

ولقد تعدَّدت مصاد التشريع في الإسلام، وهي التي يأخذ منها المسلمون كافة تشريعاتهم في الأحكام والعبادات والمعاملات وغيرها فكانت السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ووصلت إلى الأجيال المتعاقبة من المسلمين بصورة ما يعرف بالحديث النبوي الشريف الذي أولاه علماء المسلمين أهمية كبيرة من حيث الجمع، والتحقق من سلامة الرواة، وصدقهم، ودقة ما ورد عن النبي(ﷺ).

وبهذا فإن أهمية دراسة الحديث كأحد العلوم الشرعية تظهر من خلال كونه يحفظ الدين الاسلامي من التزييف، والتحريف أو التبديل لذلك فقد هيأ الله سبحانه وتعالى من يعتني بنصوص الحديث النبوي الشريف، وطرق روايته، والاستدلال به لبيان الصحيح من الحديث النبوي من الضعيف أو الموضوع، وحتى لا يختلط كلام رسول الله (ﷺ) بكلام غيره من الناس.

ومن هؤلاء العلامة الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان التميمي الدارمي البستي (٢٧٠ – ٣٥٤هـ) في كتابه (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها) المعروف بـ(صحيح ابن حبَّان) هذا هو

الكتاب الذي يجري البحث فيه من خلال جمع الاحاديث المتعارضة ثم دراسة متونها ودرء التعارض عنها.

أهمية الموضوع:

إنَّ المتتبع لأحوال الأمَّة خاصة في هذا الزمن يجد أنَّ من أخطر ما ابتليت به هو التشكيك في ثوابتها وأصولها الشرعية، لعامَّة الناس يستدلون بها على التعارض وتناقض في الأحاديث الواردة، فكانت دراستي للتعارض أمرًا ضروريا لحراسة الاحاديث من توهم التناقض فيها.

وبهذا يمكن بيان أهمية هذا الموضوع في ما يأتي:

١. إنَّ دراسة ظاهرة التعارض في كتاب الإمام ابن حبَّان تفتح باب البحث لدراسة نفس الظاهرة عند غيره من الأئمة.
٢. إنَّ أقوال ابن حبَّان انتشرت في أغلب كتب المتأخرين، فدراسة هذه الظاهرة عنده تيسر فهم ما نقله عنه المتأخرين.

سبب اختيار الموضوع

نظراً لأهمية الموضوع كما تقدم، أضافة إلى اسباب أخرى كانت مشجعة لي على اختياره، منها:

أولاً: لأهمية التعارض كونه من العلوم المهمة، ومدى الحاجة إلى الوقوف عليه، وفك التعارض عن الاحاديث النبوية.

ثانياً: مكانة الإمام ابن حبَّان العلمية عند العلماء، وقيمة كتابه، ويبرز ذلك في الناقلين عنه.

ثالثاً: ان كتاب (صحيح ابن حبَّان) لم يدرس فيه موضوع التعارض، وما وجد في هذا الموضوع الا دراسة لا تتعلق به، وانما مقارنة مع صحيح ابن خزيمة فان الكتابة في هذا العلم فيه فوائد نافعة، وخدمة للسنة النبوية، ولطلاب الحديث على حد سواء مما دفعني إلى اختياره، ودراسة صحيح ابن حبَّان.

رابعاً: دفع الشك، والريب، والاضطراب عن أذان بعض المسلمين، الذين يقفون حائرين أمام هذه الأحاديث.

هدف الرسالة

وتهدف الرسالة إلى ما يأتي:

١. جمع الاحاديث الواردة في صحيح ابن حبَّان المتعارضة، ودفع التعارض عنها.

٢. بيان منهج الإمام في صحيحه بكون منهجه يختلف في الترتيب، وتبويب الاحاديث.

٣. الجمع بين منهجين، أحدهما نظري، والآخر تطبيقي، وذلك من خلال دراسة نماذج من الأحاديث المتعارضة.

الدراسات السابقة

قد كتب به العلماء قديماً وحديثاً مؤلفات كثيرة، ومن أشهر من كتب فيه:

١. الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الذي يعد أول من صنف في هذا العلم، وسمى كتابه(اختلاف الحديث)، وهو مطبوع.

٢. أبو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينيوري، فقد صنف كتاب(تأويل مختلف الحديث) وهو مطبوع أيضاً.

٣. الإمام الطحاوي فقد صنف كتاب(مشكل الآثار) وهو مطبوع.

وقد كتبت مؤلفات متعددة ومستقلة حول صحيح الإمام ابن حبَّان، وسيأتي ذكرها في الفصل الأول في مبحث التعريف بكتابه الصحيح إن شاء الله.

صعوبات الدراسة

لا شك أن الصعوبات تعترض كل باحث يعد بحثاً علمياً له مكانته، وأهميته، وقد واجهتني بعض العقبات والمشاكل، منها:

١. عدم توفر بعض المصادر في المكتبات المتواجدة.

٢. صعوبة الحصول على طبعة التقاسيم والأنواع.

٣. صعوبة البحث في صحيح ابن حبان كون يختلف في التصنيف والتبويب.

منهجية الرسالة

أمَّا منهجي في الرسالة، هو المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على الجمع، والتحليل، والمقارنة، لاستخراج النتائج العلمية، وذلك على النحو الآتي:

١. قرأت صحيح ابن حبَّان، وقمت باستخراج نماذج من الاحاديث المتعارضة منه، ولم اقم باستخراج كافة الاحاديث المتعارضة، وذلك لكثرتها في الصحيح، ولتقييد رسالتي بعدد محدود فخشيت الإطالة فيه فاكتفيت بذكر نماذج منه فقط.
٢. قسمت الأمثلة التي عثرت عليها، حسب التقسيمات الموجودة في الخطة المرسومة.
٣. بينت منهج الإمام ابن حبَّان بصورة عامة.
٤. ترجمت ترجمة مختصرة للإمام ابن حبَّان.
٥. وقد ترجمت الأعلام الذين جاء ذكرهم في رسالتي ترجمة موجزة، وأما الأعلام المشهورون الذين لا غرابة فيهم ولا تخفى تراجمهم على أفراد الناس فضلا عن العلماء، وطلاب العلم فلم أتعرض لتراجمهم.
٦. عرفت الأماكن، والبلدان التي ترد في ثنايا نصوص الرسالة، وذلك في الهامش.
٧. ذكرت تعاريف موجزة في اللغة، والاصطلاح عن بعض المباحث التي أراها في حاجة إلى تعريف.
٨. لم أتعرض لسند الحديث في دفع التعارض.
٩. اعتمدت على كتب شروح الحديث.

وقد اتبعت في رسالتي هذا قواعد البحث العلمي بصفة عامة، والبحث في ميادين الحديث بصفة خاصة، ومن هذه القواعد:

١. عزو الآيات إلى سورها وأرقامها.
٢. عزو الأحاديث، وأعتمد في ذلك على صحيح ابن حبَّان(التقاسيم والأنواع)، والكتب الستة، وذكرت بطاقة الكتاب.
٣. بينت درجة الحديث معتمده في ذلك على أقوال العلماء المتقدمين.
٤. شرحت الألفاظ الغريبة في الحديث.
٥. عندما أنقل نصاً لاحد العلماء أو الباحثين أنقله بنصه أو أختصره متصرفة فيه بحسب الحاجة، وأشير بذلك في الهامش، وأثبت الجزء، والصفحة.

٦. أعلق على ما يحتاج إلى تعليق معتمدة في ذلك على أقوال العلماء.

٧. للاستفادة من الرسالة، ولسهولة الوصول إلى المعلومات قمت بوضع فهارس للبحث، ويأتي تفصيلها ضمن الخطة.

خطة الرسالة

تتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، واهدافه، والدراسات السابقة، وصعوبات الدراسة، ومنهجية الرسالة، وخطة الرسالة.

التمهيد: نبذة موجزة عن حياة الإمام ابن حبَّان.

الفصل الأول: حياة الإمام ابن حبَّان والتعريف بكتابه الصحيح وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عصر الإمام ابن حبَّان.

المبحث الثاني: حياته.

المبحث الثالث: سيرته العلميَّة.

المبحث الرابع: التعريف بكتابه الصحيح.

الفصل الثاني: بيان المفردات الواردة في عنوان الرسالة.

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: بيان معنى كل من درء التعارض والاختلاف والمشكل.

المبحث الثاني: التعارض بين الأحاديث، حقيقته وأسبابه وشروطه .

الفصل الثالث: منهج الأمام ابن حبَّان في درء التعارض بين الأحاديث.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهج الإمام ابن حبَّان العام في دفع التعارض بين الأحاديث النبوية.

المبحث الثاني: الأحاديث التي سلك فيها مسلك الجمع لدفع التعارض.

المبحث الثالث: الأحاديث التي استعان فيها لدفع التعارض على علم الناسخ الحديث ومنسوخه.

المبحث الرابع: الأحاديث التي سلك فيها الترجيح لدرء التعارض.

خاتمة: جعلت في خاتمة الرسالة ملخّصاً يبيّن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

الفهارس.

هذا وإن الحمد لله تعالى على التمام، وله الشكر على كل حال أحمده سبحانه أن يسر لي إخراج هذه الرسالة عسى الله أن ينفعني بها، وقارئها، كما أسأله سبحانه أن يكون هذا العمل متقبلاً عنده وسائر أعمالي إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

الفصل الأول

حياة الإمام ابن حبَّان والتعريف بكتابه الصحيح

المبحث الأول: عصر الإمام ابن حبَّان:

المطلب الأول: الحالة السياسيَّة.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعيَّة.

المطلب الثالث: الحالة العلميَّة.

المبحث الثاني: حياته :

المطلب الأول: اسمه، كنيته، نسبه، لقبه.

المطلب الثاني: ولادته، نشأته ووفاته.

المبحث الثالث: سيرته العلميَّة:

المطلب الأول: طلبه للعلم ورحلته.

المطلب الثاني: أشهر شيوخه وتلامذته.

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه.

المطلب الرابع: آثاره العلميَّة.

المبحث الرابع: التعريف بكتابه الصحيح:

المطلب الأول: التحقيق في ثبت الكتاب الى ابن حبان .

المطلب الثاني: أسباب ومقاصد تأليف ابن حبان لكتابه التقاسيم والأنواع، وعدد أحاديثه.

المطلب الثالث: طريقة تصنيفه، وشروطه.

المطلب الرابع: منزلته بين كتب السنة النبوية.

المطلب الخامس: اهتمام العلماء بصحيح ابن حبان.

المبحث الأول
عصر الإمام ابن حبَّان

المطلب الأول: **الحالة السياسيَّة**.

المطلب الثاني: **الحالة الاجتماعيَّة**.

المطلب الثالث: **الحالة العلميَّة**.

التمهيد

تمهيد

لعل من المناسب قبل أن أتناول ترجمة الإمام ابن حبَّان أن أبين صورة موجزة عن الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة والعلميَّة، إذ إنَّ الحالة السياسيَّة، وما يصاحبها من أمن واستقرار، يؤثّر على الحالة الاجتماعيَّة والعلميَّة ، مما يُهيّئُ الفكر إلى استقبال الأفكار العلميَّة الناضجة المتطوّرة الّتي تجعل الإنسان ينصرف في تفكيره إلى طلب العلم والتحصيل العلميّ المتميّز والحصول على أعلى المراتب فيه.

أمَّا إذا كانت الحالةُ السياسيَّة سيّئة فإنَّ ذلك يؤدّي إلى انعدام الأمن والاستقرار، مما يتسبب في جعل الحياة الإنسانية مضطربة، وهذا يؤثر تأثيرًا سلبيا على طلب العلم، إذ إنَّ تلقّي العلوم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالظروف المحيطة بالإنسان.

فكلّما استقرّت الحياة السياسيَّة، واستتب الأمن، جعل طلب العلم من المشايخ والتحصيل الدراسيّ من دور العلم سهلاً يسيرًا.

إنَّ الفترة السياسيّة التي عاش فيه الإمام ابن حبَّان من أسوأ الفترات الّتي عاشتها البلاد داخليًّا وخارجيًّا، وذلك لما دار من صراعات ونزاعات وحروب في ذلك العصر، كما أنَّ هذه الحالة السياسيَّة العصيبة ما كانت لتظهر فجأة، بل كانت امتدادًا لأحداث سبقتها.

ممَّا لا ريب فيه أنَّ للوسط الّذي يعيش فيه الإنسان دورًا كبيرًا، وأثرًا بالغًا في تكوين شخصيّته، لأنَّ الإنسان يتأثّر بالبيئة الّتي وُلِدَ فيها، وعاش ومارس أحداثها؛ ونظرًا لهذه الأهمِّيَّة، رأيت أن أقدّم دراسةً موجزةً سريعةً عن عصر المؤلّف في الأحوال السياسيَّة والاجتماعيَّة والعلميَّة.

المطلب الأول

الحالة السياسيَّة في عصر الإمام ابن حبَّان(رحمه الله تعالى):

إنَّ الفترة الّتي عاش فيها الإمام ابن حبَّان الثلث الأخير من القرن الثالث الهجريّ إلى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجريّ فقد كانت ولادته في سنة بضع وسبعين ومائتين، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين وثلاث مائة للهجرة[١]، أي ما بين ٢٧٥هـ – ٣٥٤هـ، على هذا التاريخ يكون الإمام ابن حبَّان ولد في خلافة أحمد المعتمد على الله ٢٥٦هـ – ٢٧٩هـ[٢].

وتوفِّيَ في خلافة الفضل بن جعفر المطيع لله ٣٣٤هـ – ٣٦٣هـ[٣]، وقد عاش في هذا العصر العباسي الثاني، وعاصر عددًا من خلفائه، وامتازت هذه الفترة بانفلات سياسيّ وأمنيّ خطير.

بدأ فيه الضعف والوهن واضحًا في مفاصل الخلافة، ممَّا نتج عنه ظهور شعوب جديدة طارئة على العالم الإسلاميّ الأوَّل، ووصولها إلى مراكز الدولة، وتسلُّطها على الحكم وزيادة تدخّلها في شؤون البلاد ثمَّ وقع الخلفاء أنفسهم تحت نفوذها وسيطرتها، ومن المعروف أنَّ الخلفاء العباسيّين الذين تولَّوا الخلافة منذ عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م انقسموا إلى قسمين: قسم امتاز بالقوَّة والمهارة وعظمة في معالجة الأمور، وهؤلاء هم خلفاء العصر العباسيّ الأوَّل المبتدئ من عام ١٣٢هـ – ٢٣٢هـ ومنهم: المنصور والهادي والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم بقدر ما كان خلفاء العصر العباسي الثاني من ضعف ومذلَّة وخنوع ومنهم: المستعين بالله والمعتز

---

[١]ينظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت٧٤٨هـ، دار الحديث، القاهرة – مصر، د. ط ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م: ١٨٣/١٢.

[٢]ينظر: تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت٣١٠هـ، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي،ت٣٦٩هـ، دار التراث – بيروت، ط٢ ١٣٨٧هـ:٤٧٤/٩.

[٣]ينظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء، لمحمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، ت٥٨٠هـ، قاسم السامرائي، دار الآفاق العربيَّة، القاهرة، ط١١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م: ١٧٧/١.

والمعتمد والمقتدر وغيرهم، والواقع أنَّ ما أسى فيهم من ضعف ظاهر، وما صاحبه من تحكُّمِ كبارِ القادة والوزراء أدَّى إلى زوال تلك الخلافة نهائِيًّا[١].

وأهم مميزات هذا العصر:

١. ضعف الخلفاء، والسيطرة على مركز الخلافة.

٢. نشوء دويلات كثيرة نتيجة بروز قادة استقلوا في مناطقهم واعترف بهم الخليفة.

٣. ظهور نتائج الحضارة الإسلاميَّة السابقة، لهذا العصر، على شكل علوم، وعمران، ورفاهية، وترف.

٤. قيام حركات ادِّعاء النسب الهاشميّ.

٥. الغزو الصليبيّ والغزو المغوليّ لبلاد المسلمين، والقضاء على الخلافة العبَّاسيَّة وسقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م[٢].

وهذه هي أبرز الأحداث في فترة الدولة العبَّاسيَّة الثانية الّتي تمتدُّ أحداثها ما بين ٢٤٧ – ٦٥٦هـ/٨٦١ – ١٢٥٨م.

وما يهمُّنا من تلك الأحداث هو ما حدث في حياة الإمام ابن حبَّان وقد تناولت ذلك بشكل مختصر خشية الإطالة، وقد سبقني في هذا الكثير من الباحثين ولكي لا أثقل البحث في التكرار، وفي ظلّ كلّ ذلك كانت للإمام ابن حبَّان مشاركة في تولّيه لقضاء سمرقند[٣].

---

[١] ينظر: صفحة من تاريخ الخلافة العبَّاسيَّة في ضل دولة المماليك (الخليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية)، لحامد زيان غانم، كلية الآداب جامعة القاهرة، دار الثقافة، لسنة ١٩٧٨م: ٩ – ١٠.

[٢] ينظر: التاريخ الإسلاميّ الدولة العبَّاسيَّة، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦ لسنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م: ٢/ ٤.

[٣] ينظر: تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت٧٤٨هـ، دار الكتب العلميَّة بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م :٣/٩٠.

ويصف الذهبيّ حال المحدّثين بقوله: (ثمَّ ثقات الحفاظ ولعلَّ قد أهملنا طائفة من نظرائهم فإنَّ المجلس الواحد في هذا الوقت كان يجتمع فيه أزيد من عشرة آلاف محبرة يكتبون الآثار النبويَّة ويعتنون بهذا الشأن، وتبدّل الناس بطلبة يهزأ بهم أعداء الحديث والسنَّة ويسخرون منهم وصار علماء العصر في الغالب عاكفين على التقليد في الفروع من غير تحرير لها، ومكبّين على عقليَّات من حكمة الأوائل وآراء المتكلّمين من غير أن يتعقَّلوا أكثرها، فعَمَّ البلاء، واستحكمت الأهواء ولاحت مبادئ رفع العلم وقبضه من الناس)[١].

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعيَّة

من البديهي أن تتأثَّر الحياة الاجتماعيَّة بالحياة السياسيَّة الّتي تحيط بها، فاستقرار الأحوال الاجتماعيَّة مرهون باستقرار الأحوال السياسيَّة.

ولا يمكن أن تكون الحياة الاجتماعيَّة مستقرَّة، طالما اشتغال السلاطين والأمراء بالوصول إلى السلطة، وشغلهم عن تأمين حياة اجتماعيَّة، كريمة آمنة للأمَّة، والإنفاق المفرط على الحروب الّتي نشبت بينهم، أرهق اقتصاد البلاد، فنضبت أكثر الموارد وتفشَّى بين النَّاس أمران خطيران: غلاء المعيشة، واضطراب نظام الأمن في البلاد، فأمَّا الغلاء فقد بلغ حدًّا لا يتحمَّله عامَّة الناس، غلت الأسعار ببغداد وهي حاضرة الخلافة[٢].

وقد أصبح لهم بحكم ذلك فرض الضرائب والمكوس، وجباية الأموال من كل طريق ممَّا أثقل كواهل الناس، وجعل حياتهم الاقتصاديَّة شاقَّة كما أنَّ الفساد انتشر

---

[١] تذكرة الحافظ: ٨٦/٢.

[٢] البداية والنهاية، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت٧٧٤هـ، تحقيق- علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م:٣٥٥/١١.

في جميع أركان الدولة حتى شمل الحسبة[١] والقضاء، وهما أهم ما يرتبط في حياة الناس المعيشيَّة، والاجتماعيَّة، فعمَّت الفوضى والسرقة والغش والرشوة والتلاعب بمقدَّرات الناس ممَّا جعلهم يغرقون في الفقر والحاجة حتى أصبحت الحياة بالنسبة لعامَّة الناس حملاً ثقيلاً لا يطاق[٢].

ومن طبقات الشعب في ذلك العصر أهل الذمَّة، وهم النصارى واليهود، وكانوا يتمتَّعون بكثير من ضروب التسامح الديني ويقيمون شعائرهم الدينيَّة في أمن ودعة، ممَّا يدلُّ على أنَّ الخلفاء العباسيين كانوا على جانب عظيم من التسامح الديني معهم[٣].

وكان الرقيق يكوِّنون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأوَّل، إذ كان اتخاذ الرقيق منتشرًا بكثرة، وكانت سمرقند الّتي كانت تُعَدُّ من أكبر أسواق الرقيق بيئة صالحة جدًّا لتربية الرقيق المجلوب في بلاد ما وراء النهر، إذ كان أهلها يتخذون ذلك صناعة لهم يعيشون منها.

ولم ينظر الخلفاء العباسيُّون إلى الرقيق نظرة امتهان وازدراء، بدليل أنَّ كثيرًا منهم كانت أمَّهاتهم من الرقيق. وقد ولع خلفاء الدولة باتخاذ الإماء من غير العرب، حتّى إنَّهم كانوا يفضلونهنَّ أحيانًا على العربيَّات، ولم يَخلُ المجتمع من الفقراء والمعوزين ممَّن عضّهم الفقر بنابه، ووجد كذلك كثير من متوسطي الحال، والذين لم يخفوا تذمُّرهم من غلاء الأسعار، كما أنَّ تعدُّدَ الأجناس في المجتمع جعل الدولة عرضة للدعوات السرِّيَّة، والفتن الداخليَّة، وساعد على اتّساع الدولة[٤].

---

[١] الحِسبة: منصب كان يتولاّه في الدولة الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة، من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب. ينظر:المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، (لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، د. ط، باب الحاء:١/١٧١.

[٢]ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن ابراهيم حسين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١٤ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ٣/ ٣٢٣ – ٣٢٤ – ٣٢٥.

[٣] ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ٣/ ٣٢٣ – ٣٢٤ – ٣٢٥.

[٤] ينظر: المصدر نفسه: ٣/٣٢٦.

أمَّا من حيث الزواج والمصاهرة فقد تغيَّرت تقاليدها عن ذي قبل، وذابت تلك العادة العربيَّة المتمثلة في التحفظ عن مصاهرة غير العرب، فقد حطَّم العصر العباسي تلك الحواجز، وغيره من العناصر الأخرى[١].

هذه هي أهمُّ مظاهر الحياة الاجتماعيَّة في ذلك العصر، ولعلَّ ما أصاب الإمام ابن حبَّان في ذلك الزمان لم يكن خاصًّا به، بل هو عام في شتَّى الأقاليم الإسلاميَّة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المطلب الثالث

الحالة العلميَّة

إنَّ واقع هذه الحالة كان خلاف الحالتين السياسيَّة والاجتماعيَّة فلم يكن للسوء الأوضاع أي أثر سلبي على الناحية العلميَّة فقد عرفت تلك الحقبة بأنَّها كانت من أزهى عصور الإسلام العلميَّة، إذ توافر فيها عدد ضخم من رواد العلم والثقافة، ففيها عاش أئمَّة المحدّثين وجهابذة المفسّرين وأساطين الأدباء، ومشاهير الفلاسفة وأرباب الكلام، وكانت الثقافة قد بلغت أوجها، والاهتمام بالتأليف بلغ ذروته[٢].

لقد تميَّز هذا العصر بنهضة علميَّة، وفكريَّة قويَّة، وظلَّ العلم والعلماء في مقاومة طويلة شاملة لكل عوامل التخلف والضياع، الّتي تسرَّبت إلى جذور الأمَّة الإسلاميَّة وحياتها، ذلك لأنَّ العلم عند المسلمين دين، ومسؤوليَّة إسلاميَّة، وعبادة وقربى إلى الله تعالى.

فالسنَّة المطهَّرة كانت قد جمعت بأدقّ طرق الجمع والتحصيل على يد أئمَّة السنَّة والمحدّثين، واقتضى ذلك ظهور علم الجرح والتعديل[٣].

---

[١] ينظر: المصدر نفسه:٣/٣٥٣.

[٢] ينظر: ظهر الإسلام ،لأحمد امين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة –مصر، ٢٠١٢م:١/ ٢٠١.

[٣] ينظر: ظهر الإسلام: ١/ ٢٠١.

كما أخذ الفقه وأصوله حقَّه في هذا العصر، حيث كان الفقهاء الأربعة وكانت آثارهم في المسائل العلميَّة الدقيقة تمَّت ونضجت قبل الإمام ابن حبَّان، وورث الناس عنهم هذا العلم وتداولوه كما برز الأدباء، وكثر التأليف عمومًا في مجالات الثقافة المختلفة.

وإن الناظر لمؤلَّفات ومصنفات ابن حبَّان لخير دليل على ما نقول.

وكانت المكتبات العامَّة المليئة بذخائر العلوم تنتشر في كل مكان من العالم الإسلامي الواسع، فلا يكاد يخلو مسجد من مكتبة عامرة، وذلك أنَّ العلماء كان من عادتهم أن يقفوا مكتباتهم على المساجد، وقد أوجد انقسام الدولة العبَّاسيَّة إلى دويلات عواصم ثقافيَّة كثيرة، وكل منها يتنافس ليكون له كيانه الثقافي الخاص بجوار بغداد الّتي كانت آنذاك أكبر مركز ثقافي.

ومن هذه المدن الّتي ازدهرت بالعلوم والثقافة في مشرق العالم الإسلامي بلاد فارس ففي جنوبها ثروة كبيرة من العلم في جميع فروعه، فشيراز[١] في الجنوب والري[٢] في الشمال، كانا من أهمّ العواصم السياسيَّة والعلميَّة

---

[١] شيراز: بالكسر، وآخره زاي: بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث، طولها ثمان وسبعون درجة ونصف، وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف، وقيل: سمّيت بشيراز ابن طهمورث، ينظر: معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت٦٢٦هـ، دار صادر، بيروت، ط١٩٩٥م: ٣/٣٨٠.

[٢] الرَّيّ: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه وهي مدينة مشهورة من أمّات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محطّ الحاجّ على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، ينظر: معجم البلدان:٣/١١٦.

والأدبيَّة، واشتهر من بلاد الجنوب سِيرافُ[١]، وفيروزاباد[٢]، وأرزنجان[٣].

وإصطخر[٤]، وعاصمتها شيراز، كما اشتهر من بلاد الشمال وهي بلاد الجبل أصبهان ونهاوند[٥]، وهمذان[٦]، ودينور[٧]، وقومس[٨]، وبسطام[٩] وعاصمتها الري،

---

[١] سِرافُ: بكسر أوّله، وآخره فاء، في الإقليم الثالث، طولها تسع وتسعون درجة ونصف، وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف، وتقع في الجنوب وبين سيراف والبصرة سبعة أيّام، ينظر: معجم البلدان:٣/٢٩٤-٢٩٥.

[٢] فيروزآباد: هي مدينة ايرانية تقع في مقاطعة فيروزآباد، محافظة فارس. من آثار بقايا قصر شيده الملك الفارسي أرتجزر كسيس: ينظر: فيروز_آباد(فارس) /Ar.Wikipedia.Org/Wiki.

[٣] أَرْزَنْجانُ: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاي، وسكون النون، وجيم وألف ونون، وأهله يقولون: أرزنكان، بالكاف: وهي بلدة طيبا مشهورة نزهة كثيرة الخيرات والأهل، من بلا إرمينية بين بلاد الروم وخلاط، قريبة من أرزن الروم، وغالب أهلها أرمن، وفيها مسلمون وهم أعيان أهلها: ينظر: معجم البلدان: ١/١٥٠.

[٤] إِصْطَخْر: بالكسر، وسكون الخاء المعجمة، بلدة بفارس من الإقليم الثالث، طولها تسع وسبعون درجة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، قيل: كان أول من أنشأها إصطخر ابن طهمورث ملك الفرس، ينظر: معجم البلدان:١/٢١١.

[٥] نَهَاوَنْد: بفتح النون الأولى وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مهملة: هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، ينظر: معجم البلدان: ٥/٣١٣.

[٦] هَمَذَانُ: بالتحريك، والذال معجمة، وآخره نون، في الإقليم الرّابع، كان الّذي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة ٢٤هـ، وطولها من جهة المغرب ثلاث وسبعون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة. ينظر: معجم البلدان: ٥/٤١٠.

[٧] دِينَوَرُ: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، ينسب إليها خلق كثير، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخا، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل، والدينور بمقدار ثلثي همذان، وهي كثيرة الثمار والزروع ولها مياه ومستشرف، وأهلها أجود طبعا من أهل همذان، وينسب إلى الدينور جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث، بنظر: معجم البلدان: ٢/٥٤٥.

[٨] قُومِسُ: بالضم ثم السكون، وكسر الميم، وسين مهملة، وقومس في الإقليم الرابع، طولها سبع وسبعون درجة وربع، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وهو تعريب كومس: وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها، وقصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الري ونيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار، ينظر: معجم البلدان: ٤/٤١٤.

[٩] بِسْطامُ: بالكسر ثم السكون: بلدة كبيرة بقومس على جادّة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين، بسطام قرية كبيرة شبيهة بالمدينة الصغيرة، ينظر: معجم البلدان: ١/٤٢١.

وأخرجت هذه البلاد من المحدّثين والفقهاء والنحاة والفلاسفة والصوفية والأدباء ما لا يحصى كثيرة[١].

وكان المحدّثون أنشط الناس للرحيل، وأصبرهم على العناء، ذلك أنَّ الصحابة عند الفتح تفرَّقوا في الأمصار، فمنهم من سكن بلاد فارس، ومنهم من سكن العراق، ومن سكن مصر، ومن سكن الشام، ومن سكن المغرب، وكان كلُّ هؤلاء يحملون حديثًا عن رسول الله ﷺ أخذه عنهم التابعون ومن بعدهم، فكان في كلّ مصر طائفة من الحديث لا تعرف في الأمصار الأخرى، فَجَدَّ العلماء في الرحلة يأخذون الأحاديث عن أهلها، ويجمعون ما تفرق منها، وكان باعثهم الديني يذلل كل عقبة، ويسهل كل مشقة[٢].

وخلاصة ما يمكن أن يُقال عن الناحية العلميَّة في هذا العصر ما ذكره أحمد أمين[٣] في قوله: (...والخلاصة أنَّ الحالة العلميَّة في أواخر القرن الثالث وفي القرن الرابع كانت أنضج منها في العصر الّذي قبله، أخذ علماء هذا العصر ما نقله المترجمون قبلهم فشرحوه وهضموه، وأخذوا النظريَّات المبعثرة فرتبوها وورثوا ثروة من قبلهم في كل فرع من فروع العلم فاستغلُّوها)[٤].

وما هذه إلا صورة من الصور الّتي كانت يعيشها الإمام ابن حبَّان خلال تلك الفترة وهي جليَّة واضحة، وهذا يساعدنا على تصوّر ذلك إذ عرفنا واقع الّذي يعيشه وكيف اتّخذ العلم طريقه ونفق في سوقه، وقصده العلماء من الآفاق، فأكرمهم، وأجرى عليهم الجريات الوافرة وقرَّبهم، وكان يجالسهم ويستفيد منهم، ويفيدهم ولمَّا كان عليه حياته اليوميَّة.

---

[١] ينظر: ظهر الإسلام:١/٢٠١.

[٢] ينظر: ظهر الإسلام: ٢/٧٠.

[٣] أحمد أمين: هو أحمد أمين إبراهيم الطباخ، أديب ومفكر ومؤرخ، كاتب مصري، وهو صاحب تيار فكري مستقل قائم على الوسطية، وهو والد المفكر المعاصر جلال أمين. وولد في القاهرة بمصر سنة ١٨٨٦م وتوفي فيها سنة ١٩٥٤م، ينظر: أحمد أمين(مفكر) .Ar.Wikipedia.Org/Wiki/

[٤] ظهر الإسلام: ص٨٧.